القصص

الكذب

للقصصي الروسي نيكولا يفتش اندريف

ترجمة الأديب محمود البدوي

« أنت كاذبة ! أنا أعرف أنك كاذبة ! »

« لماذا تصيح هكذا . . ؟ أمن الضروري أن يسمعنا كل انسان ؟ »

وكذبت مرة أخرى فما كنت أصيح كما ادعت ، وإنما كنت أتكلم على أتم هدوء ورقة . أمسكت بيدها وأخذت أحدثها في لين هادىء ، والكلمة السامة : « كذب » تفح حولي كفحيح الحية الصغيرة

« واستطردت تقول : « أحبك ... ويجب عليك أن تكون على ثقة تامة بي . . ألا يقنعك هذا ؟ » وقبلتني .. ولكني لما أردت أن أطوقها بذراعي وأضمها الى صدري لم أجدها : . كانت قد أفلتت مني وبارحت الممر المظلم ، فتبعتها الى الغرفة التي أخذ الحفل البهيج فيها يقوض خيامه ، ومن أين لي أن أعرف — في مكان كهذا — أين أنا ؛ لقد طلبت مني المجيء اليه بجئت ، ورأيت القوم يدورون حولي مثنى مثنى طول الليل . وما تقدم إلى أحد ولا خاطبني انسان . كنت هناك غريبا عن كل الناس ، جلست في ركن يقرب من العازفين على الآلات الوسيقية وفم البوق النحاسي الضخم يوجه في خط مستقيم الى ... وسمعت في ناحية شخصاً سجيناً يزجر ويضحك بعد كل دقيقة في هزة وخشونة ويصيح :

« هو . . . هو . . . هو . . . »

وكانت تقرب مني من حين الى حين سحابة بيضاء عطرة . كانت هي .. ولم أكن أدري كيف دبرت بمهارة فائقة ملاطفتي وهي متقية أعين الناس ، ففي ثانية خاطفة ضغط كتفها على كتفي ، وفي لحظة قصيرة خفضت بصري فاستطعت أن أرى الجيد الأتلع والدثار الأبيض الضيق العروة .. ولما رفعت طرفي رأيت جانب الوجه الأبيض الصارم الهادىء كوجه الملاك المفكر فوق مقابر الموتى ، فوق مقابر المنسيين من الموتى ، ورأيت عينيها .... كانتا نجلاوين سا كنتين حبيبتين تتعطشان للنور . . تحف بهما دائرتهما الزرقاء ، وقد برق فيهما إنساناها في قتامة . وكنت كلما نظرت الى هاتين العينين أراهما على حال واحدة لاتتغير : سوداوان عميقتان لايدرك كنههما ، وإذا ما نظرت اليهما ولو نظرة قصيرة اشتد وجيب قلبي ، ولكني لم أشعر قط بعمق اللانهاية بمثل هذا العمق وهذا الخوف الذي شعرت به الآن ؛ ولم أعرف مطلقا قوتها كهذا الحد القوي الجارف . شعرت خائفاً متألماً أن حياتي كلها غدت كشعاع ضئيل من النور ابتلعته عيناها ، حتى أصبحت غريبا عن نفسي فارغا أجوف غائباً في عداد الموتى ... ثم بارحتني وخلفتني وحيدا وأخذت معها حياتي .. حياتي كلها ، ورقصت ثانية مع رجل وضيء الوجه طويل متعجرف ، أخذت في انقباض وحزن أنعم فيه البصر وأدرس أجزاء جسمه ، وشكل نعليه ، وعرض كتفيه المرتفعتين ، وخصل شعره المتموج المنتظم . والرجل بنظرته غير العابئة ولا المكترثة ولا الباصرة يلصقني بالحائط ، أصبحت في نظره مخلوقا تافها كالحائط نفسه

ولما أطفئت الشموع تقدمت نحوها وقلت :

« حان وقت العودة .. سآخذك الى المنزل »

فاستغربت وقالت : « ولكني ... ذاهبة معه ! »

وأشارت الى الرجل الطويل الجميل الذي لم ينظر إلينا مطلقاً ثم جرتني الى غرفة خالية من الناس وقبلتني . فقلت بهدوء ورقة :

« إنك كاذبة »

فأجابت : « سنتقابل اليوم ... لا بد أن تجيء ... »

ولما ركبت العربة الى المنزل ، كان الصباح الضبابي الأخضر

قد لاح فوق السطوح العالية ، ولم يكن فى الشارع كله إلا أنا وسائق ؛ وجلس الرجل متجمعاً يخفى وجهه من الريح ، وأنا جالس خلفه منكمشاً فى معطفى ومغطياً وجهى حتى عينى . وكان للسائق أفكاره ولى أفكارى ، وخلف الجدران الكثيفة المحيطة ألوف من الناس يغطون فى النوم سابحين فى أحلامهم وأفكارهم ... فكرت فيها ، وفى أكاذيبها ، وفى الموت الرهيب ، وبدا لى أن هذه الجدران المحيطة بعد أن أضاءتها تباشير الصباح ، كانت تنظر الى كمخلوق ميت ، وهذا هو السبب الذى جعلها جامدة معتدلة هكذا . ولم أكن أعرف فى أى شىء يفكر السائق ، ولم أكن أدرى ما الذى يحلم به أولئك المختفون وراء الجدران ، ولا كانوا هم يعرفون ما أفكر فيه وأحلم به ...

وعلى هذا المنوال من التفكير والسكون والتأمل زحفنا فى الشوارع الطويلة المستقيمة ، بينما يغضض نور الصباح أعالى السقوف ، وكل ماحولنا كان أبيض ساكناً . وقربت منى سحابة بيضاء عطرة ... وأخذ إنسان سجين يضحك عند أذنى ويصيح :

« هو ... هو ... هو ... »

***

لقد كذبت . لم تبر بوعدها ولم تجىء ، وكان انتظارى قدومها عبثاً ، كان وهماً باطلاً وأملاً خائباً ... وأخذ الغبش يهبط من السماء القاتمة أشهب بارداً متجمداً ... ولم أعد أعرف متى يتحول الغبش إلى مساء ، أو متى ينقلب المساء ليلاً أسود . فكرت فيه كله كليل طويل حالك فوقه ليل ، وأخذت دائماً ، بخطى الانتظار المنتظمة الرتيبة ، أروح وأجىء فى الطريق ، ولم أشأ أن أقرب من منزل حبيبتى الشاهق ، ولا من الباب الزجاجى الأمامى الذى بدا لى شاحباً فى ظل سقفه الحديدى ، ولكنى رحت بنفس الخطى المنتظمة أذرع الجانب الآخر من الشارع . رائحاً غادياً ... رائحاً غادياً ... وعندما كنت أواجه المنزل لا أستطيع أن أنزع عينى من الباب الزجاجى ، فاذا ما بعدت عنه كنت غالباً أقف وأدير رأسى وأسارقه الطرف ، وهنا يخز الثلج الساقط وجهى بوخزاته الحادة ... كانت هاته الأبر الثلجية طويلة نافذة ، حتى إنها نفذت الى قلبى ومزقته وهو المعنّى بالشوق المضنى والانفعال الشديد للانتظار الخائب ! وهبت الريح الباردة من الضوء فى الشمال الى الظلام فى الجنوب ، وصفرت وعوت ، ولعبت على السقوف المتجمدة وخلصت نفسها منها وضربت وجهى بصفعات جادة من الندف الثلجية ، وخشخشت كما يخشخش الرمل على مصابيح الشوارع الفارغة حيث يرتجف اللهب الأصفر وينقبض من البرد وينحنى أمامها . كم أسفت على هذا اللهب المنفرد الذى يعيش فى الليل فقط ، وفكرت فى الحياة التى ستقف حركتها فى الشارع بعد لحظات ، وفىّ بعد أن أغادر المكان وتبقى الندف الثلجية تهطل وتضربه بضرباتها ، واللهب الأصفر يستمر راجفاً منحنياً فى كنف الوحدة والبرودة المحيطة به .

انتظرتها فلم تجىء . وبدا لى أنى وهذا اللهب المنفرد متشابهان ، وكل ما بيننا من خلاف أن مصباحى لم يكن فارغاً كمصباحه ، وأخذ الناس يظهرون من وقت لآخر فى المكان الذى ذرعته بخطواتى يكبرون فى صمت وسكون ، ويتضخمون ورائى ، ويبدون سوداً ضخاماً حذائى ، ثم يختفون فجأة كالأشباح السنجابية حول ركن بيت أبيض قائم هناك ، ثم يقدمون ثانية نحوى من حول الركن ويذوبون فى المسافة الرمادية المفعمة بالثلج الصامت المتحرك مدثرين فى معاطفهم الضخمة حتى انعدمت أشكالهم واختفت أجسامهم ، سائرين صامتين على غرار واحد يشابهونى ، وفكرت فى أن رهطاً من هؤلاء الناس كانوا يمشون مثلى رائحين غادين منتظرين مترقبين راجفين فى صمت .... ويفكرون تفكيرهم المبهم الحزين

انتظرتها فلم تجىء . . . ولم أدر لم لم أعول وأذرف الدمع السخين وأرسل العبرات الغزار ؟ لم أدر لم لم أبك فى ألم وحزن ؟ لم أدر لم ضحكت وكنت سعيداً جذلاً طروباً ؟ قبضت أصابعى الى راحتى بقوة كأنها المخالب ، وتخيلت أنى أقبض بشدة على المخلوق السام .... الحية .... الكذب .... فالتفت على ذراعى وعضت قلبى وأصابنى من سمها الرعاف الدوار الشديد . بدا كل ماحولى أكاذيب مجسمة ، وامحى الحد الفاصل بين الحاضر والمستقبل ، بين الحاضر والماضى ، امحى الحد بين الوقت الذى كنت فيه فى غيابات العدم ، والوقت الذى بعثت فيه فى هذه الحياة الدنيا .... وفكرت فى نفسى — سواء وجدت أو لم أوجد — كانت أبداً قبل أن أوجد وبعد أن وجدت متسلطة على كيانى وجثمانى . ومن الغريب على أن أفكر فى أن لها اسما وجسما وأن لكيانها ووجودها نهاية وبداية ... ليس لها اسم مطلقاً ، وإنما كانت دائماً المخلوقة الكاذبة ، والتى تمد

ولا تفي بوعدها أبداً ... لم أدر لماذا هكذا . ولكنني ضحكت ، وغاصت الإبر الحادة في قلبي ، وضحك عند أذني إنسان سجين :

« هو ... هو ... هو .. »

ونحّت عيني ورأيت نوافذ المنزل الشاهق المضيئة ، وأخذت النوافذ تحدثني بألسنتها الزرقاء الحمراء بكل هدوء :

« إنها تخونك في هذه اللحظة ، فبينما أنت تتجول ذارعاً الأرصفة مترقباً حضورها معذباً كئيباً ، إذا بها وكلها جمال ونور وإشراق ... وخيانة ، جالسة هنا تسمع همسات الرجل الصبوح الطويل الذي احتقرك وازدراك . إنك إذا اندفعت إلى داخل المنزل وقتلتها ستعمل عملاً عظيماً . لأنك ستقتل الكذب »

وقبضت يدي بشدة وقد أمسكت بسكين وأجبت ضاحكاً :

« أجل ... سأقتلها ... »

ولكن النوافذ نظرت إليّ بوجوم وقالت في حزن :

« إنك لن تقتلها أبداً.. لأن الآلة التي في يدك هي الكذب بعينه ، كقبلاتها تماماً »

واختفت الظلال المترقبة الصامتة وبقيت وحيداً في هذه البقعة الباردة ، أنا وألسنة اللهب المنعزلة التي ترجف من البرد والخيبة .. وأخذت الساعة في قبة الكنيسة القريبة تدق ، وكان صوتها المعدني الحزين يرجف وينتحب ويتمدد . ويفقد نفسه في الثلج المدوم المجنون الماطل ؛ وأحصيت الدقات وضحكت ، دقت الساعة الخامسة عشرة . كانت قبة جرس الكنيسة قديمة بالية كساعتها . ومع أن الساعة كانت سائرة على منوال حسن ، فإنها كانت تدق غالباً أكثر من اللازم ، حتى إن الرجل العجوز الذي كان يحركها صعد إلى القبة ليقف بيديه اللسان الضارب . علام كانت تكذب هذه الأصوات الراجفة الحزينة التي يخنقها الظلام الضبابي ؟

وانفتح الباب الزجاجي مع آخر دقة كاذبة للساعة ، وهبط الرجل الطويل نفسه الدرجات . وعلى الرغم من أني رأيت ظهره عرفته لأني كنت قد شاهدته أمس بوقاحته وغطرسته ... عرفت مشيته وكانت اليوم أخف حركة وأكثر ثباتاً منها بالأمس . .

لقد غادرت من قبل هذا المنزل كما غادره هذا الرجل الآن .

إنها الطريقة التي يمشي بها الرجال الذين لا تزال على شفاههم قبلات المرأة الكاذبة

***

هددت ... رجوت ... قضقضت بأسناني ...

« قولي الحقيقة ... »

فسألتني ، ووجهها جامد كالثلج ، وحاجباها مرتفعان في استغراب ، ومن عينيها يطل انسانان سوداوان سريّان هادئان ، لا يسبر غورهما :

« ولكن ... هل كذبت عليك ؟ »

وكانت تعرف أني لا أستطيع البرهان على كذبها ، وأن كل أبحاثي وأوهامي وجهودي في معرفة الحقيقة ستذهب هباء بعد كلمة واحدة منها ... كلمة كذب واحدة ... ولقد ترقبت هذه الكلمة وندت عن فمها أخيرا ، وظاهرها يتلألأ بالصدق على أن باطنها كان مظلما قاتما ... « أحبك ... ألست كلي لك ؟ »

وكنا بعيدين عن المدينة ، والحقول المغطاة بالثلج ترنو إلى النوافذ المظلمة ، وفوقها الظلام مخيم ، وحولها الظلام جاثم ، الظلام الكثيف الجلد الصامت الساكن ، ولكن الحقول كانت تلمع بضوئها المكفهر كوجه جثة في الظلام ... وأضاءت شمعة واحدة في الغرفة الرحبة الشديدة الحرارة ، وعلى ضوئها الأحمر انعكست الحقول الميتة ...

« أود أن أعرف الصدق ، بغض النظر عما يسببه لي من حزن ؛ ربما مت بعد سماعه ... ولكن خير للمرء أن يموت من ألا يعرفه . أرى الكذب يطل من عينيك . قولي الصدق ، وسأذهب بعد ذلك بعيدا عنك إلى الأبد »

ولكنها كانت صامتة ، والنظرة التي في عينيها ، النظرة الجامدة المتفرسة نفذت إلى سويداء قلبي وأخرجت أعماق نفسي وأبدتها للعيان ... وأخذت بفضول غريب أمتحنها وأنعم النظر فيها ، ثم صحت بها :

« أجيبي ... وإلا قتلتك ! »

فأجابت بهدوء : « اقتلني ... بعض الأحيان يضيق المرء ذرعا بالحياة ... هل تستطيع الوقوف على الحقيقة بالتهديد ؟ ! »

فجثوت على ركبتي وضغطت على يدها ، وأخذت أتوسل إليها وأرجوها أن ترحمني وتقول الصدق

فقالت ، وقد وضعت يدها على شعري : « مسكين ... مسكين ... »

فرجوتها : « ارحميني ... أود الصدق ... أتلهف عليه ... »

ونظرت إلى جبينها التام ، وفكرت في أن الصدق الصراح

هناك .. وراء هذا الفاصل الرقيق ، فوددت بجنون لو هشمت جمجمتها لأراه ؛ وهنا تحت هذا الصدر المرمرى الأبيض كان قلبها ينبض ، فوددت فى خبل لو مزقت هذا الصدر بمخالبي لأرى ولو مرة القلب البشرى العارى ... وكان لهب الشمعة المحدد كالسنان يشتعل بعيداً ساكناً لا يتحرك ، والجدران المظلمة قد غابت فى القتامة المحيطة ، كان كل شيء يبعث على الأسى والوحشة والرعب

وقالت : « مسكين .... مسكين »

وارتعش اللهب الأصفر وتشنج ، وضرب لونه إلى الزرقة ، ثم تمايل واحتضر ... وطوانا الظلام فى جوفه ، ولم أعد أستطيع أن أرى وجهها ولا عينيها ؛ وكانت ذراعاها تطوقان رأسى ... لم أعد أحس بالكذب ، وأغمضت عينى وغدوت لا أفكر ... ولا أعيش فى هذه الدنيا ... وإنما فنيت بكليتى فى لمسات يديها ، فى الاحساس اللذيذ ، فى النشوة العجيبة التى هيمنت على حواسى ومشاعرى ، وبدا الصدق فى عملها هذا ووضح وبان ... وجاء من أعماق الظلام همسها واهياً غريباً مخوفاً :

« ضمنى اليك .. أنا خائفة ... »

وخيم الصمت ثانية ... ثم همست مرة أخرى فى صوت خافت جازع :

« إنك تود الصدق ... وهل أنا أعرفه ؟ حتى أنا ... أود أن أعرفه ... احنى ... أوه ... أى رعب ! ! »

وفتحت عينى وقد أخذ الظلام الشاحب يهرب من النوافذ العالية ، ويتجمع على الجدران ، ويختبئ فى الأركان ، ولاح من النوافذ شيء ضخم فى بياض الموتى ... كأن عين انسان ميت تبحث عنا ... كأن شخصاً ضمنا فى قبضته الباردة ... فالتصق كلانا بالآخر ونحن نرتجف ، وهمست :

« أوه ... ... ما أفظع هذا ! »

***

لقد قتلتها ! ...

قتلتها ... ولما تمددت كتلة بشرية لا حس لها ولا حركة على النافذة ووراءها الحقول البيضاء تمتد وتتشعب وضمت يدى على جسمها وانطلقت أضحك ، وأقهقه ... ولم يكن ضحكى ضحك المجنون ، لا ... لقد ضحكت لأن أنفاسى خلصت وصدرى استراح ، ولأن فى أعماق نفسى السعادة والسلام والفراغ ...

لقد انمحت من قلبي الدودة التى كانت تنخره ، وانحنيت وأخذت أتطلع إلى العينين الميتتين ، عينان نجلاوان تتعطشان للنور ، بقيتا مفتوحتين شبيهتين بعينى تمثال من الشمع ، العيون المستديرة القاتمة التى تبدو مغطاة « بالميكا » أستطيع الآن أن ألمسهما بأصابعى ، وأفتحهما وأسبلهما ولا أرهب شيئاً ما ، لأن شيطان الكذب والشك مات من هذين الانسانين السوداوين المبهمين إلى الأبد ، مات من هذين الانسانين اللذين كثيراً ما ارتويا من دمى

ولما قبضوا علىّ انطلقت أضحك جذلاً ، وكل من رآنى عد فعلتى عملاً وحشياً مرعباً ؛ كانوا يديرون ظهورهم نافرين متراجعين ، وأخذ بعضهم وقد روّع يوجه إلى ضروب اللوم والتعنيف الشديد ، على أنهم لما بصروا بمخائل المرح الطروب ، شحبت وجوههم ، وسمرت أقدامهم ، وقالوا : « مجنون »

ويبدو لى أن هذه الكلمة هدأت ثائرتهم وأقرت هائجهم ، لأنها أعانتهم على حل اللغز . كيف وأنا المحب الوامق أقتل عشيقتى ، وفى الوقت نفسه أضحك ؟ على أن رجلاً بادناً أحمر الوجه طروباً سمانى اسماً آخر . ولشد ما ساءنى منه هذا حتى اسود فى عينى النور ، النور الذى كان أمامى

« مسكين ... » قالها فى عطف لا تشوبه المرارة ، لأنه كان بادناً طروباً :

« مسكين »

فصحت فى وجهه : « لا تقل هذا .. .. لا تسمنى بهذا الاسم »

ولم أدر لم صحت فى وجه الرجل ، ما كنت بالطبع أرغب فى قتله ، ولا حتى فى لمسه ، ولكن القوم الذين أذهلهم الحادث وأخذونى كمجنون ومجرم ، انقلبوا أكثر رعباً وفزعاً ، وصاحوا بطريقة جعلتنى أضحك مرة أخرى

ولما قادونى بعيداً عن الغرفة التى تمددت فيها الجثة قلت ثانية فى صوت عال ملتفتاً إلى الرجل البادن الطروب :

« أنا سعيد ... أنا سعيد »

وكان هذا حقاً

***

رأيت مرة فى صباى نمرا أرقط فى حــديقة الحيوانات ، لفت نظرى وشــغل تفكيرى ، لم يكن كالحيوانات الأخرى التى نامت فى حماقة وأخذت ترى الزوار بالنظر الشزر . وإنمـا مشى فى قفصه فى خط مستقيم من ركن الى ركن فى دقة حسابية عجيبة ! كان فى كل مرة يرجع الى المكان الذى بدأ منه ، وفى كل مرة يحك فروته الذهبية فى حاجز القفص ورأسه الحاد المفترس مطأطئ ، وعيناه تتطلعان الى الأمام ، ولم يتجه قط بنظره الى الناس ... والناس يتجمعون حول قفصه طول اليوم ، متحدثين صاخبين ، وهو يواصل تجولاته ولا ينظر إليهم مطلقاً . وقليل من الوجوه فى هذا الحشد كانت باسمة ، وكثرتها كانت عابسة بل حزينة وهى ترقب هذه الصورة البشعة وتتحول عنها بزفرة حارة . وعند ما كانوا يبارحونه كانوا يلقون عليه نظرة فضولية أخيرة وهم عاجزون عن الفهم ، ثم يصعدون الزفرات ! كأن هناك شيئاً مشتركا بين هؤلاء الرجال الأحرار وهذا الوحش السجين . وأخذت بعد ذلك كلما ذكر الناس الخلود وتحدثت الـكتب عن الأبدية ، أفكر فى هذا النمر الارقط ، وأتصور أنى أعرف الخلود وعذابه

لقد غدوت فى محبسى الحجرى نمراً أرقط . . . سرت فى المكان مفكرا على خط واحد فى عرض محبسى من ركن الى ركن ، وفكرى يتجول معى فى خط قصير أيضاً . أفكار ثقيلة وطأتها على ، خيل إلىّ بأنى لا أحمل رأساً على كاهلى ، وإنما أحمل الدنيا كلها على عاتقى .. وكانت هذه الأفكار تحوى كلمة واحدة ولـكن ما أكبرها وأهولها كلمة . وما أعلقها بثنيات الأقدار !

« أكاذيب . . . » هذه هى الـكلمة

وأخذت هذه الكلمة تفح مرة أخرى من كل ركن ، ثم التفت حولى . . ولـكنها لم تعد حية صغيرة كما كانت ، وإنمـا انقلبت ثعباناً ضخما مفترساً تلمع عيناه . أخذ يلسعنى بلسانه . ولـمـا صحت متألماً خرج من فى صفير كربه .... كصفير الثعابين ، كأنما احتشد صدرى بضروب الزواحف

« أكاذيب »

مشيت غارقاً فى أفكارى والأرض القبرة الناعمـــة الخضراء ... غدت فى عينى هاوية شفافة سحيقة مالها من قرار ، وأصبحت قدماى لاتحسان ببرودة الحجر تحتهما ، وتصورت نفسى أسبح فى علو شاهق فوق الضباب والظلام ، ولما خاص صدرى من الزفرة السامة ... من هناك ... من القاع ... من هــذا الحجاب الرقيق الذى مع رقته لا تنفذ إليـه العين ، دوى بطء صدى مروع ... كان الصــدى بطيئاً جداً كأنه يعبر آلاف السنين ، وهو فى كل دقيقة وزفرة يفقــد بعض قوته . أدركت بأن هناك فى باطن القاع كانت الرياح الموج التى تعصف بالأشجار تصفر ... ولـكن صفيرها وصل الى أذنى كأعقاب الأخبـار السيئة تحمل فى طياتها كلة واحدة قصيرة :

« أكاذيب »

هذا الهمس الوضيع أخذ يخنق وحبس أنفاسى ، فألصقت قدمى بالأحجار وصحت بأعلى صوتى :

« لم تعد هناك أكاذيب ... بعد ... لقد قتلت الأكاذيب »

وتحولت جامــداً بوجهى لأنى كنت أعرف أن الجواب سيجيء من أعماق الهاوية السحيقة . وكان الجواب :

« أكاذيب ... »

أنت ترى أن الأمر هكذا ... لقد ارتكبت خطأ جسيما . قتلت المرأة ... ولـكنى خلدت الـكذب . لاتقتل المرأة إلا بعد أن تنتزع — بكل وسائل التعذيب والنار والوعيد — الصدق من أعماق نفسها . فكرت فى هذا وأنا أسير فى محبسى من ركن الى ركن

• • •

لقد حملت معها الصدق والـكذب الى مكان مظلم مرعب... وهل أذهب إليه ... ؟ هل أذهب الى هناك ... وعند عرش إبليس سأقبض عليها وأجثو على ركبتى وأبكى وأقول :

« أرينى الصدق »

رباه ... رباه ... هذا أيضاً كذب ... الظلام هناك ... وفراغ القرون ... والخـلود أيضاً ... ولـكنها ليست هناك ... ليست فى كل مكان ... بقى الـكذب ... إنه خالد أزلى سرمدى . . . أحسست به فى كل ذرة فى الهواء ... وعندما أنشقه أنشق معه فى صدرى الضعيف فحيح الثعابين فيمزقه ... فيمزقه ...

أواه ... أى جنون عند ما يطلب الرجل الصدق ... وأى عذاب وألم ؟

رباه ... أنقذنى ... ... أنقذنى ! !

محمود البدوى